كتاب

التبصّر بالتجارة

[في وصف مايستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ، والاعلاق النفيسة ،]
[والجواهر الثمينة]

تأليف

« ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري »

« الملوك عيال على عمر إذا ساس ،
والفقهاء عيال على ابي حنيفة اذا قاس ،
والمحدثون عيال على احمد بن حنبل اذا أسند ،
والبلغاء عيال على الجاحظ اذا انتخب وأعرب »
ابن سيار

عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه
العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي
احد أعضاء المجمع العلمي العربي

دمشق : سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م

كتاب

التبصر بالتجارة

[في وصف مايستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ، والاعلاق النفيسة ،]
[والجواهر الثمينة]

تأليف

« ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري »

« الملوك عيال على عمر إذا ساس ،
والفقهاء عيال على ابي حنيفة اذا قاس ،
والمحدثون عيال على احمد بن حنبل اذا أسند ،
والبلغاء عيال على الجاحظ اذا انتخب وأعرب »
ابن سيار

عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه
العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي
احد أعضاء المجمع العلمي العربي

دمشق : سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م

كتاب

التبصر بالتجارة

« للجاحظ »

توطئة للناشر

—()—

الجاحظ بصري المولد والوفاة ، بالبصرة وُلد وبها شبّ ودرج ، وفيها دوّن غالب تآليفه .

مابين نصفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق[1] » ، وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أوجنوة لايطاليا وليفربول لبلاد الانكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المراسي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيهـا المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها ان تتلقب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أضداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب .

---

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ :

فاخر خالد بن صفوان البصري ببلده لدى عبدالملك بن مروان فقال :

« يغدو ساكنها قانصاً فيجيء هذا بالشبوط والشيم ، ويجيء هـذا بالظبي والظليم ، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجا ، وخزاً وديباجا[١] . »

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أتى وادي القصر بالبصرة رأى ارضاً كالكافور ، ورأى ضباباً تحترش ، وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاّح فيسفينته ، وحدا جمّال خلف بعيره[٢] »

وقد قال الخليل بن احمد البصري قبله[٣] :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي ... في منزل حاضر ان شئت او بادي

ترَ به السفن والظلمان حاضرة ... والضب والنون والملاح والحادي

اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوّح في الآفاق والترامي على الأسفار البعيدة والضرب في مناكب الارض طلباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح : « بانه ليس في الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا الاّ وانت واجد به البصري والمدني[٤] » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على بُعد همة البصريين في الترحال وغوْرهم في الاغتراب حتى قال ابو بكر الهمذاني — وناهيك به من خبير : « وأبعد الناس نجعة في الكسب بصريّ وحميَريّ ، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد ان يرى فيهما بصرياً أو حميريا[٥] . »

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وحبه استطلاع الاشياء والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الاحجار الكريمة والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على

---

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤

(٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ . (٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٥) كتاب البلدان للهمذاني (طبعة ليدن سنة ١٣٠٢) ص ٥١

أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرّق بين العالي منها والمتوسط والرديء فأضاف الى الخبرة التفنن والى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي ننشره اليوم .

فلا عجب حينئذ ان اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمّة تهم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي لعمري افادة ذات شأن ، ترشدنا الى ما وصلت اليه عواصم الاسلام الكبرى — لاسيما بغداد — من التبحر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترف . ماجعل تجارها في حاجة الى توريد نتائج أطراف المعمورة وان بعُدت وركوب الاخطار والمشاق في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفيس في اقتنائها إجابة لرغبة الاغنياء وتسديداً لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربات الخدور !

نعم ! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تآليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية قديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه الهمذاني ، وابن رسته الاصبهاني ، وابو زيد البلخي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ، غير أنا لا ننس ان الجاحظ هو الذي فتح لهم باب التأليف في تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم في الحقيقة عيال عليه — وان توسعوا بعدُ — ومقتفو أثره ومقلدوه ، الامر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول : « واذا نظرتَ في كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ[1] »

وهي لعمري شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان ، وليس هو باول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي برسم احد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم ، في معرفة الاقاليم » للمقدسي — طبعة ليدن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ .

بالتأليف والاهداء اليهم ، فهو — وان لم يسمه — احد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضي القضاة احمد بن ابي دؤاد ، والوزير الفتح بن خاقان ، وابراهيم ابن العباس الصولي ؛ وأراني في غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة الى الجاحظ ، وان لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن النديم ومعجم الادباء لياقوت ، لكن أبومنصور الثعالبي[1] والعلامة النويري[2] تكفلا بتعريفنا بها ونقلا جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها الى مؤلفنا الكبير حسبما نشير اليه في محله ٠

على ان « التبصر بالتجارة » ليس باول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فان « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعدُ في قائمة ما نسب اليه ياقوت في معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيراً[3] ٠

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ الفاظاً دخيلة في غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتّاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعرّبات جلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة احمد تيمور باشا أثر بعض المعرّبات الواردة في كتاب «نشوار المحاضرة» للتنوخي فعقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية[4] ٠

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وياحبذا لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل الى فهم الفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الاسلامية مثلما فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهي أُمنية طالما أبداها كل من يعاني استقراء تصانيف الدور العباسي ٠

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية

---

(١) « ثمار القلوب » ٠ (٢) «نهاية الارب» ٠

(٣) ثمار القلوب ص٤٣٨ وص٤١١ ٠ (٤) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع العلمي العربي ، جزء تشرين اول سنة ١٩٢٢ ص٢٨٩ وما بعده ٠

(مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير ابي عبدالله علي بن مقلة ، ثم كتاب «التبصر» هذا ، ثم شرح قصيدة ابي الفضل ابن النحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه خلال سنة ٨٧٣هـ ، وفيما يظهر ان كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامي معتاد تغلب عليه الصحة الا في الاعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فاني لم أظفر بها فاقتصرت على ايراد ما هو موجود هنا ·

وقد بذلت جهدي في اكساء هذا الاثر الجليل الثوب الذي يليق به إحياءً لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولي التوفيق ·

المهدية الفاطمية (تونس) : ح · ح · عبد الوهاب الصمادحي

شعبان ١٣٥٠

وفي الصفحة التالية يري القارئ ذلك الأثر الجليل :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :

سألت أكرمك الله عن أوصاف مايستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ، والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادةً لمن حنّكته التجارب ، وعوناً لمن مارسته وجوه المكاسب والمطالب ؛ وسميته بكتاب « التبصر » والله ولي التوفيق .

زعم بعض المحصلين من الاوائل ان الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه ، غالٍ بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في ارض فليتحول الى غيرها .

وقالت الهند : ما من شيء كثر الا رخص ما خلا العقل فانه كلما كثر غلا ، (١) :

وقالت العجم : اذا لم تربحوا في تجارة فانتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق أحدكم بارض فليستبدل بها (٢) :

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة الى نصر بن سيار والي خراسان ، لكنه أورد لفظ « الادب » « بدل » « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز — طبعة مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل ابو منصور الثعالبي جملاً من الفصول التي اوردها الجاحظ هنا ولم يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار والسوقة » من كتابه (التمثيل والمحاضرة) : اذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى غيرها ، واذا لم ترزق بارض فاستبدل بها — وقال : الرابح في كل سوق ، البائع لما ينفق فيها — وقال : شاركوا الذي اقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق — وقال : من اشترى مالا يحتاج اليه باع مالا بد منه » ومن هنا يظهر ان ما نقله الثعالبي هو عين مااورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ

وقالت الفرس : الرابح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .

وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد اقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .

وقيل لبعض المياسير : بِمَ كثر مالك ؟ قال : ما بعت بنسيئة قط ، ولا رددتُ ربحًا وان قل ، وما وصل اليّ درهم الا صرفته في غيرها[1] :

وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .

وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك[2] . وخير الدهر ما أصلحك ، وخير الناس من نفعك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ماربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحًا ؛ وكان يقال : خير الصناعة الخز[3] وخير التجارة البز .

« باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما »

قال الحكيم[4] : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون كنار خامدة وشعاع مركوم وكبريت قانئ[5] وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكير ولا

(١) كذا بالاصل وكأن المؤلف أعاد الضمير الى التجارة ولذا جعله مؤنثًا .

(٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي (الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرا قائلها ، وكأن الجاحظ يشير الى كلام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أرد من ربح قط ولو قلّ (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢) .

(٣) بالاصل : الخرز — واظنه تحريفًا من الناسخ والصواب : الخز — لتحصل القافية والمعنى .

(٤) كثيراً ما يبتدئ الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكيم — أو : قال — وفي ظني انه لا يقصد بذلك الا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تآليفه لا سيما كتاب الحيوان .

(٥) هذا الوصف يشبه كثيراً ماذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو الا نار . . . وشعاع مركوم . . .

يفسده مرّ الدهور ؛ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة ٠

وخير الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيها ، والنبهرج[1] من الدنانير يعتبر بخفته وثقله ٠

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ، ومذاق الزيوف مُرّ صديء ، والنبهرج من الدراهم مالح جرسيّ الطنين ، والفضة صافية الطنين لا يشوبها صَمَمٌ وهي تقطع العطش اذا مُسكت في الفم ٠

« باب مايعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها »

زعموا ان معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجد مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُمانيّ ، وملح المذاقة قلزميّ كلاهما يرسب في الماء ؛ والمعمول منه تجده مرّ المذاق مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء ٠

وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارّة المص واللمس فان ذلك للعلّة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس وامتحانها بذلك ٠

وزعم البحريون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الأليةالطرية المشرحةوتؤخذ في جوف عجين ويدخل التنور ويبالغ في إحمائه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو ٠

ومعرفة اللؤلؤ اللحمي الجوهري من الصدفيّ العظميّ هو ان الجوهري يكون مستوي الصورة ليناً أملس ، والعظميّ يكون خشناً غير مستوي الهيكل ٠

وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد التدحرج والاستواء ، واذا كانت

وهو الكبريت الاحمر — ومن هنا يستدل على ان الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه في تضاعيف تصانيفه من غير ان يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب ٠

(١) النبهرج — معرّب نبهره الفارسية — هو الدينار أو الدرهم المموّه الزيف الردي (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجي وغيره) — وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٦٩) : دينار بهرج — وهو صحيح ايضاً ٠

حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان ارفع لثمنهما ؛ والعُماني أنفس وأرفع من القلزمي لأن العماني عذب نقيّ صاف ، والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير [١] :

واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرّة ، والمدحرجة المعتدلة في التدوّر اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك في الثمن ، واثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهي فريدة ، وكلما كانت أصفى وأنقى كان أرفع لثمنها وأنفس ، والدرّة اليتيمة قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه [٢] :

وخير الياقوت البهرماني [٣] ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني [٤] وأدونه الابيض ؛ والياقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المعمولات بخصال

(١) على ذكر اللؤلؤ القُلزمي قال ابوالعباس احمد التيفاشي التونسي المتوفى سنة ٦٥١ في كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (خط بمكتبتي) : ... وكذلك ما يوجد من الجوهر ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فرديّ ولو كانت الدرّة منه في نهاية الكبر فانها لا يكون لها طائل في الثمن اذ ليس فيها شيءٌ من أوصاف الدر النفيس .

(٢) قال التيفاشي في كتابه المذكور : والمرجان في لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بابيات لامرئ القيس — وقيل انه اول شعر قاله — منها :

فاعزل مرجانها جانباً وآخذ من درّها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفي اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التي تطلع من البحر ويتخذ منها الحلي والأعلاق والسبح .

(٣) البهرمان : فارسي معرّب معناه : أحمر اللون ؛ قال التيفاشي : والياقوت البهرماني هو أحمر نقي الحمرة لا تشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفر وبه سمي هذا الصنف من الياقوت .

(٤) الاسمانجوني : فارسي معرب مركب من كلمتين (آسمان) اي السماء و (گون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء .

ثلاث : برزانتها في الوزن ، وبرودتها في الفم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد في الفم بطيء عمل المبرد فيه ؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافي النقي المضيء من أي لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها [1] والياقوت الأحمر البهرماني الصافي اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ في الثمن خمسة آلاف دينار ؛

وكان وزن فص الخاتم الذي يسمى « الجبل » مثقالين قوّم بمائة الف دينار واشتراه ابو جعفر المنصور باربعين الف دينار [2] . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفصّ منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهر ؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة اليواقيت : برزانته وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل ؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع المبرد فيه ؛

---

(١) كذا بالاصل ولعل ضمير المؤنث في قوله : كبرها وصغرها — عائد على ياقوتة .

(٢) نقل ابو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها الى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون الا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الاحمر البهرماني ، ثم الوردي ، ثم الرماني ، واذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوّم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور باربعين الفاً . » (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الصلاح الصفدي من تأليف لشيخه شمس الدين ابن ساعد الانصاري وسماه « بنخب الذخائر في أحوال الجواهر » جملةً مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء في ضمنها : وكان في خزانة الأمير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً تومّت بعشرين الف دينار ، وكان للمعتصم العباسي فص يسمى «ورقة الآس» لانه كان على شكلها وزنها مثقالان الا شعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١ : ٨٣) .

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ في الثمن الفي مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؟

وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه ابو جعفر المنصور بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشير بام[1] الاخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج حجر لايعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجاذي[2] الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذي فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار . والجوهر النفيس لاقيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

(١) شيربام : فارسي معرّب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن) .

(٢) البيجاذي : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب التبن ، واصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرّب قديماً وورد في اشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغاني ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :

أغرّك منها لوثة عربية ... علت لونها إن البجاديّ أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دي خوي طبعة ليدن ص ١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab., de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذي وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة في تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمي الدمشقية ج٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)

وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البجادي العتيق ، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادي (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والبلور يُختار لصفائه وعظمه ، وخير الزجاج البلوري الصافي الأبيض النقي ، والفرعوني الفائق[1] . وخير الماس[2] البلوري الصافي الابيض النقي ، ثم الأحمر ، واذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغ في الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ في الثمن وأرفع .

« باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة »

زعموا ان خير العود الهندي المندلي[3] الذي لا غش فيه ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته بحدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندي الثقيل الوزن الذي يرسب في الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء ، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة .

وخير المسك التُّبَّتي[4] اليابس الفائح وأرداه البُدّي ، وغش المسك من

(١) ورد ذكر الزجاج الفرعوني في كتاب (الحيوان) للجاحظ ج٣ ص ١١٦

(٢) الماس : يوناني معرّب وهو الديامنت وقد ورد ذكره في الحديث الشريف (النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) — وقال التيفاشي : الماس نوعان : الزيتي والبلوري ، والزيتي أجودهما ، والبلوري أبيض شديد كلون البلور ، والزيتي مخالط ببياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتاب ازهار الافكار — خط) .

(٣) المندلي : منسوب الى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذكي الشذا (راجع معجم البلدان لياقوت — لفظ مندل — وشفاء الغليل) — وقال أبو منصور الثعالبي وفي كتاب « العطر » [للجاحظ] : وخير العود الهندي المندلي ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب اسبوعاً واكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

(٤) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبتي نسبةً الى بلاد التبت ، وفي كتاب « الحيوان » للجاحظ (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت — وفي « المحاسن والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس

الآنك[١] وجندبادستر[٢] ودم الأخوين[٣] وسياه دارُو[٤] وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود .

وزعموا ان خير العنبر الاشهب الزابجي[٥] ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه

طرائف ما في بلادهم « فمن الهند الفيلة والسيوف والجلود ، ومن التبت المسك والحرير والاواني ، ومن السند الطواويس والببغاء ، ومن الروم الديباج والبسط . » — ويؤيده مانقل الاصطخري وابن حوقل حيث قالا : ولهم [أي أهل ماوراء النهر] من المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخيز ماينقل الى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمنًا وجودة (المسالك والممالك للاصطخري طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و٢٨٨ — والمسالك والممالك لابن حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و٣٣٧) .

(١) آنك : فارسي معرّب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو القصدير (جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٢) جندبادستر : فارسي معرّب وهومثانة حيوان بري بحري يكون في الانهار العظام يسمى القندر (وعندالافرنج Castor) وخصاه هي الجندبادستر (الدميري ٢ : ٢١٧ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٣) دم الاخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن ابي حنيفة الدينوري : هوصمغ أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الاطباء ، ويقال له الشيان ايضاً (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) — قلت : والمعروف ان دم الاخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقّم .

(٤) سياه دارو : ويكتب ايضاً : سيادرو — وسيادروان ، وفي القانون لابن سينا سيادوان . فارسي معرّب ، وهو صمغ الجوز الشامي (راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

(٥) الزابجي : سمى القلقشندي من انواع العنبر ستة أضرب اولها الشحري ثم الزنجي [قلت : وهو لا محالة تحريف الزابجي أو الرابجي] وهو أجود العنبر وافضله . . (صبح ٢ : ١١٧ و١١٨) — وجاء في تاج العروس : (والرباحي جنس من الكافور) منسوب الى

الا .... [هنا ورقة كاملة من الأصل بهـا ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها باي وجه ولم يبق ظاهراً منهـا سوى ماهو مرسوم بالحمرة — في السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجاد منهـا]

.... وخير الوشي [في الثوب] السابري [1] والكوفي ، والابريسمي ، والمذهب

بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو الى ملك اسمه رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه : ورباح موضع بالهند ينسب اليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح للجوهري إذ نسب تارةً الرابجي الى بلد بالهند وتارةً الى دويبة يجلب منها الزبد — وذكر ابن البيطار — في مادة كافور وعنبر — ان الرباحي مشتق من اسم ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) — وقال داود الانطاكي ويسمى الرياحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحي — بالموحدة — نسبةً الى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزي في مستدركه على المعاجم العربية : ان بعض المصنفين يسميه ايضاً الزياحي Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 — ومما تقدم يتضح ان الاختلاف في اسم الزابجي أو الرابجي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق نسبته ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالاصل مع التنبيه عليه — ووقفنا اخيراً على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الاب انستاس ماري الكرملي كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه واثبت ان اصل اللفظ — الزابج — وهو اسم جزائر ماليسية (جاوه وسومطرة وبرنيو) عند قدماء العرب — والنسبة اليه زابجي ، فحرفه النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابجي والرابجي وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمي الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

(١) السابري : نسبة الى سابور ، وفي حديث حبيب بن ابي ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشفّ ماوراءه ، وكل رقيق عندهم سابري والاصل فيه الدروع السابرية منسوبة الى سابور [النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢] — وفي التاج : والسابري ثوب رقيق جداً ، قال ذوالرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه   على عصويها سابري مشبرق

المنسوج ثم الوشي الاسكندراني الكتان البحت[1] ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشي الغزلي ، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو الياني لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلي ، والابريسمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني لانه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار .

وخير السنجاب[2] القاقم[3] ثم الظهور منه ، ثم الخزري[4] ثم الخوارزمي ، ثم الذي لاغش فيه من زغب الارانب .

ومنه المثل : عرض سابري ، اي رقيق جداً [تاج ٣ : ٢٥٢] — وقال ابومنصور الثعالبي : والسابري ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة الى نيسابور وعرّب فقيل سابري [ثمار القلوب ص٤٢٩] .

(١) نقل ابومنصور الثعالبي العبارة الآتية في لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن اي تأليف للجاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس ان القطن لخراسان وان الكتان لمصر ، ثم للناس في ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي من الكتان لا غير مائة الف درهم [ثمار القلوب ص ٤٢٠ — وراجع ايضاً كتاب « ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » للمحبي — خط بمكتبتي] .

(٢) السنجاب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ، فيها يأوي ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والصقالبة ، ووبره في غاية النعومة وجلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن ألوانه الازرق [صبح الاعشى ٢ : ٥٠] أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecureuil .

(٣) القاقم [بقافين الثانية منهما مضمومة] — هو دويبة في قدر الفار لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيمة من السنجاب [صبح ٢ : ٤٩] .

(٤) الخزري : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

وخير الثعالب الاسود[1] الخزري الغليظ الشعر الذي لا يُغَش بصبغ، ثم الابيض، ثم الاحمر المحصري[2] ثم الاحمر الخزري، ثم الخلنجي[3] .

وخير القاقم اكثرها أذناباً : وخير السمور الصيني، ثم الخزري الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزّى[4] القرمزيّ الأرمني المنير، ثم الخز الرق، ثم الخز القُطوع[5] ثم الديباج على عمل الخسرواني[6] الرومي، ثم الخز المدبج على

(١) قوله : خير الثعالب الاسود، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ [ج٦ص ١٠٠] وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب فمنه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفنك، ومنه الخلنجي وهو الاعم » .

(٢) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه «الممصّري» أي المصبوغ بالمصرة وهي العصفر، وقال ابن سيده : والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو بحمرة طفيفة [المخصص ٤ : ٩٤] .

(٣) الخلنجي : المقصود به النسيج يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف [ابن البيطار ٢ : ٦٨] وقد عرف أبو الوليد المراكشي اللون الخلنجي بقوله : مخطط بسواد ودُخنة [راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠] .

(٤) المِرعِزّى والمِرعِزَاء — بكسر الميم — اذا خففتَ مددتَ واذا شددتَ قصرتَ، وأصله بالنبطية (مِرْعِزّا) وقد تكلمت العربُ به قديماً، قال جرير من قصيدة يهجو بها التيم :

كساك الحنظلي كساءَ صوفٍ ومِرعِزّى فأنت به تفيد

أي تتبختر عجباً [راجع المعرّب للجواليقي ص١٣٧] .

(٥) القُطُوع جمع قطع وهو ضربٌ من الوشي في الثياب [المخصص لابن سيده] .

(٦) الخسرواني، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب الى عظماء الأكاسرة، وهو فارسي معرّب [المعرّب للجواليقي ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجي] .

الميساني ، ثم البزيون[1] ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب الا الأرمني والميساني والبزيون .

وخير البزيون المسكي الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفلس[2] ثم الساذج ، ثم المعين[3] ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية اذا كانت رقيقة العمل نقيـة ربما بلغت في الثمن خمسين ديناراً .

وابو قلمون[4] من الزلالي[5] الخسرواني الرومي القرمزي على خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر ، وزعموا انه يتلون ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الاكسية من الصوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزى في المرعزى الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانيـة ، والمرعزى في الابريسم الفسوية ، ثم

(١) البزيون كعصفور ، السندس ، وقال ابن بري : هو رقيق الديباج [تاج العروس ٩ : ١٣٩] .

(٢) وبالاصل ، المقلس ، وهو تحريف بيّن ، والمفلس بمعنى المختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدنّر ومدرهم أي موشى على صورة الدنانير والدراهم .

(٣) المعيّن ، ثوب في وشيه ترابيع صغار شبّه باعين الوحش [المخصص ٤ : ٦٧] .

(٤) ابو قلمون ، عرّفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون نقله الجوهري ، وقال الازهري : يتراءى اذا أشرقت عليه الشمس بالوان شتى ، قال : ولا أدري لمَ قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع [تاج العروس ٩ : ٣١] — أقول : لفظ أبوقلمون يوناني معرّب وهو في الاصل Abokalamon — والنسيج المسمى ابوقلمون في المشرق هو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٥) الزِّلِّيّة — بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعباب ، وفي مستدرك التاج [مادة زلل ج ٧ : ٣٥٩] والزلال الصافي من كل شيء ، قال ذو الرمة :

كأن جلودهن مموهات على أبشارها ذهب زلال

فكأن المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

الطبرية [١] ، ثم الصوف في الصوف ٠

وخير الطيالسة الرويانية الطبرية ، ثم الآملية [٢] ثم المصرية ، ثم القومسية [٣] ٠ وخير اللبود الصينيه ، ثم المغربية الحمر ، ثم الطالقانية البيض [٤] ثم الارمنية ، ثم الخراسانية ٠

وخير النمور البربري الموشح الشديد بياضه المشبّع سواده الطويل الوشي الساباني [٥] ٠ وأظرف النمور الذي يكون في وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بينة ؛ وان كان سواده

(١) على ذكر الاكسية الطبرية نقل الجاحظ : ان قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسي منها مائة درهم [كتاب الحيوان ٣ : ٨] ٠

(٢) قوله : الطيالسة الرويانية نسبةً الى الرويان وهي مدينة من نواحي قزوين [الاصطخري ص٢٠٦ — وابن حوقل ٢٦٩] — وكذا الآملية نسبةً الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم ؛ الاولى عاصمة طبرستان — وهي المقصودة هنا — مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها [المقدسي ص٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١] والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل ٠

(٣) القومسية ، نسبةً الى قُومس من أكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل: ويرتفع من قومس أكسية معروفة تحمل الى الامصار وهي فاشية في جميع الارض [المسالك والممالك ص ٢٧١] — وقال المقدسي : اما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها الفي درهم ، ولهم ايضاً أكسية وطيالسة وثياب رقاق من الصوف [كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] ٠

(٤) نقل ابو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها الى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ في كتاب «التبصر بالتجارة» ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض » [ثمار القلوب ص٤٣٣] ٠ وتبعه النويري فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب « النظر في التجارة» [نهاية الارب ج ١ ص٣٦٧] وهو تحريف واضح لتشابه مابين لفظ «التبصر» و «النظر» — فليتنبه ٠

(٥) الساباني ، نسبةً الى السابان ، وهو في الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذي ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود ، وبه شبّه الجاحظ هنا المختار من جلد النمور البربرية ، كان أقرب اليه أن يقول في نعته زرزوري اي في لون الزرزور ، وهو عربي صريح ٠

متصلاً بعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أظرف له ، واذا كانت فيه حمرة مع بياض يقق وسواد حالك كان أحسن وأبلغ في الثمن ؛ ونمور البربر صغار ومقدار الجلد منها ما يغشي سرجاً مفرداً ، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، واما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان ، وخير النمور الوشي ، وخير القطن الابيض اللين الصُعار الحبوب اللطيف البياض الصافي .

وزعم ان القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبتُ في ثلاثة مواضع من الارض [1] : في ناحية المغرب بارض الاندلس ، وفي رستاق يقال له تارم [2] وفي ارض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأما كنها الا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماه اسفندارمذ [3] فتيبس تلك الدودة ويصبغ بها الابريسم والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصبغ في الأماكن بارض واسط .

(١) عرّف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمني بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزّى والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز اذا نسجت على نفسها القز [المسالك والممالك ص ٢٤٤] .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً [الاصطخري ص ١٣١ ومابعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و٢٠٣ و٢٢٦ — والمقدسي ٤٢٣ و٤٢٦] .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس ، واليوم الخامس منه هو « اسفندار منذ روز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والاودية ويتخذون الادهان ويهيئون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من ظهور الفجر الى طلوع الشمس رقيةً على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران [راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني طبعة ليبسيغ سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» طبع بهامش حياة الحيوان ص ١٢٨ ومابعدها] —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب رقاع صغار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الاول من شهر مايو الأعجمي ثم يلصقونها بمداخل البيوت دفعاً للعقارب والحشرات السامّة .

وزعموا ان البَلسان شجر بارض مصر يُشرطُ في ايام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ، وهو مفقود في الارض كلها ماخلا مصر[١] ٠

وحبّ الزلم[٢] ينبت بارض شهرزور ، وزعموا انه جيد للجماع ؛ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد الا ومعه الدفلى ، وهو نبت يستجير بالدفلى النابتة عنده يقال له فازهر[٣] فلذلك غرس معه في موضع يكون به ، وقيل حُمِلا جميعاً من الروم وله قصة عجيبة طويلة ٠

« باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة والجواري »
« والاحجار وغير ذلك »

يُجلب من الهند : الببور والنمور والفيلة وجلود النمور والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند[٤] ٠

(١) البَلسان المصري ، قال الاصطخري : وحوالي الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يُعرف بمكان في الدنيا الا هناك [الاصطخري ٥٤] وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة [المسالك والممالك ص ١٠٦] ٠

(٢) حب الزّلم ، عرّفه ابن البيطار بقوله : هو حب دسم مفرطح اكبر من الحمص قليلاً أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيذ المذاق ويجلب من بلاد البربر ، وينبت في ناحية شهرزور ، وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط [جامع مفردات الادوية ٢ : ٤ و١٦٦] — قلت وهو المعروف عندنا في تونس بحب عزيز ٠

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانبات كما ورد هنا ، وانه صنفان حيواني ومعدني وهو عند الافرنج Bézoar) واسمه فارسي معرّب وأصله پازهر ومعناه «منفي السم» — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الاحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشي في كتاب أزهار الافكار والقزويني في عجائبه وسواهم كثير ، فليراجع هنالك ٠

(٤) قال ابو منصور الثعالبي : ولبلاد الهند من الخصائص مالم يكن لغيرها فمنها الفيل والكركدن والببر والببغاء والطاؤوس والدجاج الهندي والياقوت الاحمر والصندل الابيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل وغيرها من العقاقير [ثمار القلوب ٤٢٣] ٠

ويجلب من الصين : الفرند والحرير والغضائر [١] والكاغد والمداد والطواويس والبراذين الفُرّهُ والسروج واللبود والدارصيني وادارند [٢] الروم الخالص ، ويجلب من أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبربون والابرون والديباج والبراذين الفره والجواري وطرائف الشَّبَه والأقفال المحكَمة واللورا [٣] ومهندسو الماء وعلماء الحراثة والاكارة وبناء الرخام والخصيان .

ومن ارض العرب : الخيل العراب والنعام والنجائب والقانة [٤] والأدَم [٥] .

ومن البربر ونواحي المغرب : النمور والقرظ [٦] واللبود والبزاة السود .

---

(١) الغضائر ج غضارة هي القصعة أوالصحن الكبير ذوساق يتخذ من خزف ، وارفع الغضائر مايؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعتها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمّر : الغضار الطين الاحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الغضار . وقال ابن دريد فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسبها عربيـة محضة [تاج العروس وغيره] .

(٢) لفظ «ادارند» هنا لا معنى له ، وأظنه تحريفاً من الناسخ ، ويظهر انه قصد الراوند . قال مرتضى الروند الصيني وهو أنواع اربعـة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله البيـاطرة وهو خشب أسود ، والاطبـاء يزيدونها الفاً فيقولون «راوند» ولفظه ليس بعربي محض [تاج ٢ : ٣٥٩ و٣٦٠ مادة راد] .

(٣) كذا بالاصل ولم أر لها معنى ، ولاشك ان الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ [المخصص ٤ : ٦٨] وفي القاموس اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين .

(٤) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب . زاد الازهري ينبت في جبال تهامة ويتخذ منه القسي [لسان العرب] .

(٥) الأدَم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٦) بالاصل القرض ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق السلَم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يعتصر منه الاقاقيا وهو مما يتداوى به [المعاجم اللغوية] .

ومن اليمن : البرود والأدم والزرافات والجواميس(١) والعقيق والكندر(٢) والخطر(٣) والورس(٤) .

ومن مصر : الحمر المماليج(٥) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ، ومن المعدن الزبرجد الفائق .

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر .

ومن ارض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب .

ومن سمرقند : الكاغد(٦) .

(١) كذا بالاصل ولا أخالها الا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد . وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم [المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس] .

(٢) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللبان عند الاطباء وغيرهم [تاج ٣ : ٥٢٩] .

(٣) الخطر — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به ، وقال ابوحنيفة هو شبيه بالكتم وكثيراً ماينبت معه واحدته خطرة [تاج ٣ : ١٨٣] .

(٤) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول اربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون الا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق [كتاب ثمار القلوب ٤٢٥] وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ، فلينتبه .

(٥) على ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلاد الاسلام أحسن ولا أثمن منها ، ولهم من وراء اسوان حمير صغار في مقدار الكباش معلمة تشبه البغال المعلمة ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حمير يقال لها [السملاقية] بارض الصعيد زعموا ان احد أبويها من الوحشي والآخر من الاهلي فهي أسير تلك الحمير . [راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧] .

(٦) كاغد وكاغد وكاغذ ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغد معروفاً بالمشرق في اول عهد الاسلام وانما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردي المصري أو على الرقوق ، واول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند جنبه هنالك أساري من الصين أسرهم الامير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة .

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة[1] .
ومن بوشنج : الكَبَر المربى .
ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية[2] .

فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنهـا دخل الى اروبا واشتهر — قال ابو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها أنعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها الى جميع البلدان في الآفاق [ثمار القلوب ص ٤٣١] — وذكر المقريزي في خططه ان جعفر البرمكي هو اول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد في الدواوين [النويري ١ : ٣٦٧] .

أقول : ومن أشهر الاصناف التي كانت تصنع قديماً في العالم الاسلامي : الكاغد الفرعوني تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السليماني نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفري منسوب الى جعفر البرمكي الوزير العباسي ، والطلحي منسوب الى طلحة بن طاهر ثاني امراء بني طاهر ، والنوحي نسبة الى الامير نوح الاول من بني ساسان ، وسوى ذلك كثير ؛ وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية وخصصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيا في القيروان والمهدية — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها [انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢١ وصبح الاعشى ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦] .

(١) الفوشنة ، ويسميها أبو بكر بن الفقيه الهمذاني [الغوشنة] [كتاب البلدان ص ٢٥٥] ولم نهتد الى معرفة ماهيتها .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمي كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروي وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقي الى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، ومما تختص

ومن جرجان : العناب والتدرّج وحب الرمان الجيد واليرمق [١] اللين والابريسم الجيد [٢]
ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم [٣] الرقاق والطيالسة من الصوف ٠
ومن دباوند [٤] : نصول السهام ٠

به مرو الثياب [اللحم] [ثمار القلوب ص ٤٣١] — ومن ينسب الى مرو من الرجال يقال له مروزي ومن الثياب مروي [العقد الفريد ٣ : ٢٥٧] ٠ أقول : والمتعارف هو ان النسبة الى مرو الروز : مروزي ، والى مرو الشاهجان : مروي ، للتفريق بين المدينتين ٠

(١) لم نقف على معنى للفظ [اليرمق] وكأنه تحريف [النرمق] بالفتح ، فارسي معرب [نرمه] وهو اللين الناعم من كل شيء ، وانشد الليث لرؤبة يصف شبابه ٠

أجر خزاً خطلاً ونرمقا   ان لريعان الشباب عتهقا

[تاج ٧ : ٧٥] — ويمكن ان يكون ايضاً [يلمق] ج يلامق وهو ضرب من الفراء المبطنة ٠

(٢) قال الاصطخري ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شيء كثير ، وابريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه [الاصطخري ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣]— وقال المقدسي ، ولاهل جرجان المقانع القزّيات تحمل الى اليمن والعناب ، ولهم ديباج دون [أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] ٠

(٣) المقارم ج مقرمة وهي الستر ، وعن ابن الاعرابي هي المحبس نفسه يقرم به الفراش قال ٠ وهو ثوب من صوف فيه الوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كِلّة ، وقد تزين المقارم في اطرافها بالرجائز وهي نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع [المخصص ٤ : ٧٥] أقول ، وقد أخذ الافرنج لفظ مِقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من الطرز يسمونه Macramé ٠

(٤) دباوند — كذا بالاصل وهو عندي تحريف من الناسخ وصوابه [دُنباوند] وهو جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه ٠ وبكرمان مدينة يقال لها [ذمندان] وهي مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشاذر والصفر ومعدنه بجبل يقال له [دنباوند] جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ [كتاب البلدان ٢٠٦] ٠

ومن الري : الخوخ والزئبق والبرمق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط والقلانس الملكية والقسيات [١] الكتان والرمان [٢] .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكمثرى الصيني والتفاح والملح والزعفران والاشنان والاسفيذاج [٣] والكحل والسرُر المطبقة والاثواب الجياد والشراب من الفواكه [٤]

ومن قومس الفؤوس والأمساح والجتر (٥) والطيالسة من الصوف .

ومن كرمان النيلج والكمون .

ومن الجور الجوارشن (٦) .

---

(١) بالاصل : العسيات ، وعندي انها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب اولاً من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف (راجع النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير] وقال ابن سيده : الثياب القسية تنسب الى قس وهو موضع وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهي عن لبسها [المخصص ٤ : ٧٢] .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل الى السلطان مع خراج الري — وهو اثنا عشر الف الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدّد مائة الف رطل [ثمار القلوب ٤٢٨] .

(٣) الاسفيذاج ، فارسي معرّب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف في تونس بالباروق ، وقد أطال ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره فليراجع [جامع المفردات ١ : ٣١] .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من أصبهان الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها — وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكلها موصوف بالجودة والزعفران بها كثير [ثمار القلوب ٤٢٧] .

(٥) الجتر ، فارسي معرّب وهي المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .

(٦) كذا بالاصل والاقرب ان تكون الجواشن ج جوشن وهي الدروع وقد ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » [فصل محاسن الهدايا] .

وبزرقطونا (١) .

ومن بَرْذَعة البغال الفُرّه (٢) .

ومن نصيبين الرصاص .

ومن فارس الثياب الكتان التوّزي والسابريّ وماء الورد (٣) ودهن النَّيْلوفر ودهن الياسمين والأشربة .

ومن فَسَا الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .

ومن عُمان وشواحل البحر اللؤلؤ .

ومن ميسان الأنماط والوسائد .

ومن الأهواز ونواحيها السكر والديباج الخز (٤) .

(١) بزرقطونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium [راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الادوية لابن رسولا طبع مصر ص١٦ ، وكشف الرموز للجزائري وغير ذلك] .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب الى الآفاق [المسالك ١٩٠] وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر الى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره [حوقل ٢٤٨] .

(٣) قال الثعالبي جور من كوَر فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب الى أقاصي المشرق والمغرب ... وكان يحمل من فارس الى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون الف قارورة [ثمار القلوب ٤٢٧ — وراجع ايضاً الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣] .

(٤) السكر من خواص الاهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا بها على كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال ابو الطيب المتنبي

تقضم الجمر والحديد الاعادي   دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل الى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز — وهو خمسة وعشرون الف درهم — ثلاثون الف رطل من السكر ؛ ومما ينسب الى الأهواز من النفائس ديباج تستر وخز السوس ، قال كشاجم يصف الروض

... والصناجات والرقّاصات (١) .... وأنواع التمر والدبس والقند (٢) .
ومن السوس ، الأترج ودهن البنفسج والشاه سبزم (٣) والجلال والبراذع .
ومن الموصل ، الستور والمسوح (٤) والدرّاج والسُماني .
ومن حلوان ، الرمان والتين والكامخ (٥) .

كأن الذي دبجت تستر ... وطرزت السوس فيه تسر
[ثمار القلوب ٤٢٦] .

(١) حصل هنا ترهل عطّل قراءة بعض الكلمات . اما لفظ « الصناجات » الواردة بالاصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها الا « النِصاحات » وهي الجلود واحدتها نِصاحة [راجع المخصص ٤ : ١٠١] — وكذا قوله « الرقّاصات » فهي عندي « الطرّاحات » ج طرّاحة وهي مقاعد صغيرة مربّعة تطرح في البيوت .

(٢) القَنْد والقَنْدة ، معرّب « كَنْد » وهو عصارة أوعسل قصب السكر اذا جمد وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الافرنج Sucre candi اي سكر مربّى

(٣) شاه سبرم ، ويقال ايضاً شاهسفرم وشاهشفرم ، نوع من الريحان كان يسمى الريحان السلطاني والحبق الكرماني ، واللفظ فارسي معرّب « شاه سيرغم » وهو مما عرّب قديماً لوقوعه في شعر الأعشى [شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ — وكتاب المعتمد لابن رسولا ص١٧٨ وغير ذلك] .

(٤) المسوح ج مِسح ، عن ابن سيده كساء مخطّط يكون في البيت يستتر به ويفترش [المخصص ٤ : ٨٠] ولايخفى ان منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى ان الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيراً لاصل موردها .

(٥) الكامخ ، فارسي معرّب وأصله « كامه » ويجمع على كوامخ ، قال الجواليقي الكامخ الذي يؤتدم به [كتاب المعرّب] وقال مرتضى وغيره في شرح الكامخ ومنهم من خصه بالمخلّلات Hors d' œuvres التي تستعمل لتشهي الطعام [تاج ٢ : ٢٧٦] وكذا شفاء الغليل — أقول والمعنى الاخير هو المقصود هنا ويؤيده ماحكاه الجاحظ نفسه في البيان والتبيين [ج٣ ص١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢] .

ومن أرمينية واذربيجان ، اللبود .... والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف (١) .

« باب مايختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك »
« من جوارح الطير »

خير البزاة البيض مايقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغرابية التي بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرقة ، ثم الديْزَج (٢) .

وخير الشواهين السود الغرابية البحرية ، والبيض الجرجانية .

وكذلك البواشق يستحب منها السود الغرابية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحمر البحرية ، الحُمر البطن والصدر بيكانات (٣) بيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ،

---

(١) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة الى النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الارمنية التي تعمل بسلماس ، تباع التكة من دينار الى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الارض . ثم قال واكثر ما يخرج الى بلاد الاسلام من الديباج والبزيون وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية فمن اطرابزندة [المسالك والممالك ص٢٤٦] — وقال الثعالبي وكان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام — وهو ثلاثة عشر الف الف درهم — من البسط المحفورة(؟) ثلاثون بساطاً ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ومن البُزاة ثلاثون بازياً [ثمار القلوب ٤٢٨] .

(٢) الدَيْزج ، فارسي معرّب ديزه بالكسر ومعناه ذو لونين أو هو بين لونين غير خالص [تاج ٢ : ٤٢] ويروى ايضاً ديرح بالراء المهملة [النهاية لابن الاثير ٢ : ٢٢] .

(٣) يكانات ، فارسي معرّب وأصله « يكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلّم بنقط بيض .

الغائر العينين من غير هزال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستبان (١) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٢) فذلك غاية (٣) .

وزعموا ان اليؤيؤ (٤) ذكورة الصقور ، والعفصي (٥) ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة اليؤيؤ الصغير .

---

(١) الدستبان ، فارسي معرّب وهو القفّاز من جلد يتخذه البيّاز في يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٢) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعني نحو اربعمائة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .

(٣) قال القلقشندي المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب «المصايد المطارد» الاحمر اللون اذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادّها ، سائل السُفعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتلي الزور عريض الوسط جليل الفخذين ، قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الخصر ، قليل الريش لينه ، تام الخوافي ، ممتلئ العكوة [صبح الاعشى ٢ : ٥٨] — وقال ايضاً في صفة البُزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم . المختار من ألوانها الأحمر الاكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر والاشهب الشديد الشهبة الشبيه بالابيض ، والاصفر المدبّج الظهر — ثم قال ان ذكر البازي يسمى الزُرّق [صبح ٢ ص ٥٦ و٥٧] .

(٤) «اليؤيؤ» قال القلقشندي ، تسميه اهل مصر والشام الجلم ، هو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلَم أخذاً من الجلم ، هو المقص تشبيهاً به لان له سرعة كسرعة المقص في قطعه [صبح ٢ : ٦١] .

(٥) «العفصي» طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص — ورد في صبح الاعشى اسم العفصي «بالفقمي» وفي التعليق عليه قال مصححه «العقصي» (؟) وكلاهما تحريف والصواب العفصي كما هنا للسبب الذي بينا — قال القلقشندي : هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس [صبح ٢ : ٥٧] .

وقالت الفرُس لا يكاد الفرَس والبازي يكونان حسني المنظر لامخبر لهما ، ولا حسني المخبر لا منظر لها ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقاً .

« باب آخر »

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل عِلق من الجواهر والأحجار اذا كان أصفى وأضوأ فهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية والاهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأفخر ، وكل انسان من الشريف والوضيع اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكوناً وأجمل حالاً وأنزر طعماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهنأ ، وكل عدو صغيراً أو كبير اذا كان حمياً فهو أعدي وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه فمحذور قربه ؛

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجازوا به وتثابوا ، والقضاء جالب يجلب الامور ، وخير النوم ما يذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الاشياء بالحواس الخمس بجودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالخيشوم اذا كان طيباً أرجاً ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع ان يكون صافي الوقع والصوت ، وباللمس ان يكون ليناً ناعماً (١) .

وكانت العجم تقول القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراسة الرجل السوء ان يكون منقبضاً

---

(١) ذكر الجاحظ [الحواس الخمس] غير ما مرة في غضون تآليفه المطبوعة ، قال هي السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والمجسة — ولم يقل اللمس [كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩] .

غير منشرح ، وان يُرى لونه الى الصفرة والكمود من غير مرض ، وان يكون طائش القلب ، وان يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وان تراه غايظ اللفظ عند المحاورة .

ومن فراسة الرجل الصالح ان تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهيٍّ وكلام شهيٍّ ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعاً .

وزعم سابور الملك انه ليس ينبغي للعاقل ان يعتدّ بقول سبعة من الناس بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

تم الكتاب ولله المنة والحمد كما هو اهله
وصلى الله على محمد وآله وسلم

تتمة للناشر

—(()))—

رأينا من المناسب ان نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمذاني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في « ذكر ماخص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها » — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب « مايجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة وغير ذلك » وهو الوارد فيما من رسالته هذه ·

قال ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه[1] :

ولولا ان الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان واعطى كل اقليم من الاقاليم بشيء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولاسافر رجل ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والاخذ والاعطاء ، الا ان الله عز وجل أعطي كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا الى بلد هذا ويستمتع قومٌ بامتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير · قال ألله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا » وقال الله عز وجل « وقدّرَ فيها أقواتها » ·

نخص الله — جلّ وعزّ — بلاد « السند » « والهند » بانواع الطيب والجواهر كاليواقيت والالماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكركدن والفيل والطاووس والاعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخولنجان والدارصيني والنارجيل والهليلج والتوتياء والقنا والخيزران والبقّم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة ؛ وخص اهل « الصين»

(1) [كتاب البلدان] طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ ·

بالصناعات واعطاهم ما لم يعط احداً فلهم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولهم ايضاً مسك الا انه ليس بجيد ، وقالوا انما يتغير في البحر لطول المسافة ؛ ثم «الروم» وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحذق بالابنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومي والبزيون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكى ، ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولهم الخيل العجيبة والافراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيهم شبيه بزي العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن ؛ ولاهل «المغرب» البغال البربرية والجواري الاندلسية والنمور الزنجية ؛ ثم ما قد خص به اهل «مصر» من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخيل والتماسيح ولهم السمك الرعاد والاسقنقور ، ولهم الثياب الدبيقية والشطوية والقصب الموزون والمسير وغير ذلك من انواع ثياب الكتان والصوف من الاكسية ، ولهم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية ؛ ولاهل (اليمن) الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدنية ، وفي بلادهم الورس والكندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية ، وفي بلادهم القردة والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب ؛ ثم (العراق) قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خصّ الله جلّ وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشي والخزّ وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمور والقسوب ما قد عدم مثله بالبصرة والأهواز وبغداد والحجاز مثل الهَيْرُون والجُشان وقسب العنبر والبَرْشيان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ؛ ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئتَ التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذي لايشركهم فيه احد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والاقحاف والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ، ولهم الدّارش واللكّاء خاصة وفيها أعجوبة ؛ وذلك ان الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش ان يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء ان يُتخذ في جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، على انهم قد امتحنوا ذلك وجرّبوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس الى سر من رأى مع تربتها ومائها وامرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه

الاّ الخشن الذي يتكسر ؛ ولاهل كورة دجلة والسواد وميْسان ودَسْتَ ميسان من عمل الستور والبسط وعمل المَيْساني والحرير والدّرانك والدُّورَنْك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد ؛ ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور ماعدم مثله في جميع كور النخيل ؛ وذكر «الجاحظ» انهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين وعُمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والأهواز وما بها أيام المعتصم واذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغلّ معروف وخارجي موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب ؛ ولأهل (الأهواز) انواع من السكر والتمور ؛ ولاهل (السوس) خاصة (وجُنْدَيْسابور) حذق في اتخاذ انواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل (تستر) ؛ ثم (الجبَل) وعجائبها وما قد أُعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبن واللوز ؛ ولاهل (همذان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والجامات والطبول المذهّبة التي قد فاقوا بها وباتخاذها جميع اهل الارض ؛ ولاهل (الريّ) الاطباق المدهّنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الامشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولهم الاكسية البيض الطرازية والطيالسة البيض السرية والثياب المنيّرة ؛ ثم بغداد الثانية اعني (اصبهان) وماأُعطي اهلها من طيب الهواء وعذوبة الماء والحذق بانواع الصناعات ، فلهم الثياب المروية والعتابية والملاحم العجيبة والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية ؛ (ولفارس) فضل في اتخاذ الآلات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على اشياء ظريفة عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عزّ وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخّره لهم حتى عملوا منه ماارادوا ، فهم احذق الامة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولهم الثياب الجُنّابية والسينيزية ، ولهم الماورد الجوري والطين السيرافي والاكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية ؛ ولاهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشَبَه والصفر ؛ ولاهل (طبرستان) و (الديلم) و (قزوين) حظ من عمل الاكسيه الرويانية والآمُلية واتخاذ الشستانك والمناديل واشياء كثيرة من انواع ثياب القطن والصوف والابريسم والكتان ؛ ولاهل (جرجان) من الابريسم ماليس عند غيرهم ومنها يحمل الى جميع البلدان

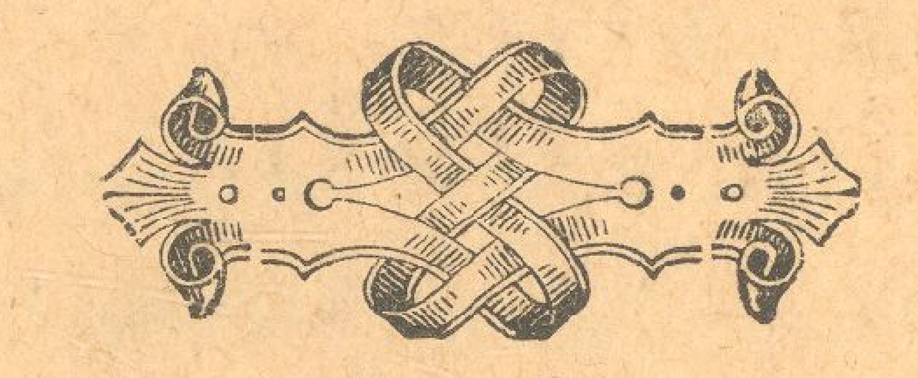
ولهم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغير ذلك ؛ ولاهل (نيسابور) الثياب المحمة والطاهرية ، ولهم التاختج والراختج وليس هذا الا لهم ؛ ولاهل (مَرْو) الثيـاب المرزوية والملاحم الفائقة التي هي اعلى الملاحم ؛ (وبخراسان) فواكه كثيرة سرية واعناب طيبة ، ولهم الزبيب الكُشْمهاني والكِشمِش وبطّيخ يقدّد ، وقد كان فيما مضى يحمل بطيخها الى الخلفـاء في قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذّتها وطيبها (كذا بالاصل) ، ولهم الأُشْتَرغاز والأَنجُذان والغُوشنة والكيلكان والرّخْبين والمَاْبن ، وبها معدن الفيروزج واللازورد والرُكُب المروية والثياب السمرقندية ، ولهم الأَشْكَن والخلنج وبها الخُتُّو ؛ (وبالترك) السمور والفَنَك ؛ (وبالتُبّت) المسك التُبّتي والدرق التبتية .

فسبحان من اعطى كلّ بلد نوعاً من الخيرات وجنساً من الصناعات ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

——>ooo<——

فهرس التبصر

صفحة




Bibliotheca Alexandrina
0415138